من قريب أو بعيد، الى المشاركة الفعّالة في المفاوضات والمباحثات التي سبقت الاعلان.

مرة أخرى نعود للقول: أين هي البصمات اليهودية على كل هذه المشاريع، وأين هي المصلحة اليهودية في بناء مثل هذه المشاريع؟ إن ما نستخلصه من ذلك أن اليهود، بشكل عام، كانوا آخر من يعلم، وان الآخرين هم الذين كانوا يخططون لهم المستقبل الذي يريدون، ويرسمون لهم الحياة التي يرغبون دون أن يكون لهم - اليهود - أية رغبة أو مطمع في ذلك.

من المعروف تاريخيا أن تيودور هرتسل لم يفكر بانشاء الحركة الصهيونية إلا سنة ١٨٩٧، وأنه كان حتى سنة ١٨٩٥ يدير مدرسة للكثلكة، يدعو من خلالها اليهود الى الاندماج في الديانة المسيحية تمهيدا لاندماجهم في المجتمعات الاوروبية، ثم تحوّل فجأة ليصبح أول «نبي» للصهيونية، وليعقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية، ثم لتُفتح أبواب القياصرة والأباطرة والفاتيكان أمامه وليصبح شخصية دولية مرموقة.

إن ما تقدم يعتبر لمحات بسيطة تضيء الطريق أمام معرفة الأصول التي استندت اليها فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين. تلك اللمحات هي غيض من فيض الوثائق والمستندات، التي تدل دلالة قاطعة على أن هذا المشروع لا يمت الى اليهودية بصلة، وان اليهود مُلّوا فيه الوقود الذي يحترق ليحرك قاطرة الاستعمار القادم من الغرب الى الشرق. ولئن جاء بعض هؤلاء اليهود الى فلسطين بالدافع الصهيوني، فان السواد الأعظم منهم جاء بفعل أسباب بعيدة كل البعد عن هذا الدافع، بحيث وجد نفسه في مصيدة لا فكاك منها. وهذا ما يفسر سيل الهجرة المعاكسة من فلسطين الى أميركا وغيرها، ويفسر أيضا وجود عشرات الألوف من المهاجرين السوفيات المتنقلين بين المدن الأوروبية بحثا عن ملجأ، أي ملجأ، يعيشون فيه، غير اسرائيل. ويفسر في النهاية وجود أربعة أخماس يهود العالم خارج «دولة اسرائيل».

وعلى الرغم من ذلك، فاننا نرى تحريف التاريخ والانحراف عن مساره، باعادة الأمور الى أصول مصطنعة، وجذور باهتة ونحن نلهث وراءها نحاول دحضها تارة والتعامل معها تارة أخرى، دون أن ندري أننا نُجر إلى مصيدة قاتلة لا فكاك منها.

وفي الوقت الذي يتحدث فيه مفكرون ومثقفون وباحثون يهود - وحتى صهاينة - عن الأصول الصحيحة للمسألة الصهيونية، يصر كثير من مفكرينا ومثقفينا وباحثينا على الاستمرار في الجري وراء الأوهام - التي يبثها بين الفينة والأخرى خبثاء الصهيونية وزعماء الفكر الاستعماري - ناسين أو متناسين أن اعادة «الحق اليهودي» في فلسطين الى عشرين قرنا من الزمان - أيا كانت الأسانيد التي يتقدمون بها - يعني بالضرورة اعادة رسم خارطة العالم. وان مثل هذا التفكير لا يعدو عن كونه هراء وتحريفا وهلوسة لم يعد يتحدث عنها في هذا العصر إلا هؤلاء، ولم يعد يناقشها بحسن نية أو بغباء إلا بعضنا.

فليكف السعداء بثقافاتهم الدينية والفقهية، والمطّلعون بجدارة على كتب اللاهوت،